

وَمِمَّا يَنْبَغِي الاعتناء به علما ومعرفة وقصدا وإرادة العلم بأن كل إنسان بل كل حيوان إنما يسعى فيما يحصل له اللذة والنعيم وطيب العيش ويندفع به عنه أضرار ذلك وهذا مطلوب صحيح يتضمن سمة أموراً أحدها معرفة الشيء النافع للعبد الملائم له الذي يحصل له لذته وفرحه وسروره وطيب عيشه الخامس معرفة الطريق التي إذا سلكها أفضت به إلى ذلك وقد حصل له العلم بالمطلوب والعلم بطريقه لكن في قلبه إرادات وشهوات تحول بينه وبين قصد هذا المطلوب النافع وسلوك طريقه فكلما أراد ذلك اعترضته تلك الشهوات والإرادات وحالت بينه وبينه وهو لا يمكنه تركها وتقديم هذا المطلوب عليها إلا بأحد أمرين وبهذا الأصل تعرف عقول الناس وتميز بين العاقل وغيره ويظهر تفاوتهم في العقول فأين عقل من أثر لذة عاجلة منغصة منكدة إنما هي كأضغاث أحلام أو كطيف يمتع به من زائره في المنام على لذة هي من أعظم اللذات وفرحة ومسرة هي من أعظم المسرات دائمة لا تزول ولا تفنى ولا تنقطع فباعها بهذه اللذة الفانية المضحلة التي حشيت بالآلام وإنما حصلت بالآلام وعاقبتها الآلام فلو قايست العاقل بين لذتها وألمها ومضرتها ومنفعتيها لاستحيا من نفسه وعقله كيف يسعى في طلبها ويضيع زمانه في اشتغاله بها فضلاً عن إثارتها على ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر